

مبارك وساط



على درج المِياهِ العميقَة

طبعة 2020

مبارك وساط

على درج المياه العميقه

طبعة ثالثة

الكترونيّة - 2020

طبعات هذه المجموعة:

طبعة أولى: دار توبقال، 1990.

طبعة ثانية (مُنْقَحَة و مُرَاجَعَة): منشورات عكاظ، الرباط، 2001 (ضمن

كتاب شعرٍ يتضمن ثلاثة مجموعات).

طبعة ثالثة (صيغة نهائية): إلكترونية، هي هذه.

رَفِيفُ أَجْنَحَةِ يُضْرِمُ حَقْوَلًا

جِينَ تَنْدَلُغُ حُكْمِي الْأَخْبِيلَةِ فِي ثُقُوبِ اللَّيلِ، أَنْصِتْ لِلْهَسِيسِ الْمُنْبَعِثِ
مِنْ أَعْشَابِ عَقَالِكَ الَّذِي يَنْتَظِرُ إِشَارَةَ الْفُرُورِ إِلَى ضَفَّةِ مَاهُولَةِ الْدُّواَرِ.

تَسْمَعُ هَيْنَمَةً فِي مَرَآةِ تَعْكِسِ ظَلَالًا؟ إِنَّهُ الْمَجْنُونُ يُقْلِدُ عَظَاءَةَ رُوحِهِ.
لِسَانُهُ فَلَادٌ يَرْقُصُ فِيهَا الْحَجَرُ. شَرَائِينُهُ تَجَأَرُ بِالشَّتَائِمِ وَالْهَدِيلِ. يُفَكِّرُ

أَنَّهُ نَبْتَةُ قُرَّاصٍ، أَنَّهُ غِيمَةٌ...

جِينَ تَعْبُرُ فِرَاشَاتُ السَّهْرِ أَمَامَ عَيْنِيكَ الَّتِينَ تَتَجَاذِبُ بَيْنَ لُغَزٍّ قَادِمًا مِنْ
جُزْرِ أَحْلَامِكَ، تَحْسَسُ صَدْرَكَ الَّذِي تَرْتَعُ فِيهِ قُلُولُ الْكَلْمَاتِ. رَفِيفُ
أَجْنَحَةِ يُضْرِمُ حَقْوَلًا، فِي مَكَانٍ مَا مِنْ هَذِهِ الْمَقَاتِهَةِ، وَالْمَجْنُونُ يَتَمَدَّدُ
تَحْتَ شَمَسِ مِنْ صُنْعِ أَسْلَافِهِ...

جِينَ تُومِضُ فِي قَلْبِكَ مُوسِيقِي الْبَرَارِي الْمُوْجِشَةَ، سَتَّاهُفُ فَاكِهَةَ
نُومِهِ مِنْ جَنَائِنَ فُضَاءَةِ الْهَذِيَانِ.

تفاصيل الدهشة

الأنوار شاحبة على سيقان الليل

الخطى مُحَلِّمة على بلاط الشوارع

الأمواج ساكنة في جنبات الدائق

لا شيء تغيير

بعد أن هجرت هذه النافذة

حيث يضحك العصافور

هذه الغرفة حيث نظرتك

ورنيس أساورك

شالك، وآهاتك التي من بنفسج

ما تزال منتورةً على الشراشف

المكتتبة بأنفاسك

وفوق المنضدة المبقعة بالجبر

حيث يُقهقه بوقادة

تمثال بوذا المترهل

للأسف لم أستطع أن أبدو يائساً
مثل نشيد ناضب مثل جدول هرم
لأنَّ تفاصيل الدهشة تمْت خارج حياتي
لأنَّ أنفاسي تتلاعثم في العراء
فيما الثلج يتتساقط من سقف الغرفة
ويلعب في حضني كطفل
لا شيء تغيّر
هيئمة الوزال تسرى في المروج البعيدة
والسماء تنثُ رذاذ الهذيان
وأنت تتخلىصين من دمك وتجرين
بين أشجار الصنوبر المريضة
وعلى الأرصفة التي تخوض
بعذاب الموسيقى.
كان قوس فزح يتزلق على كشنْج هنْهيم
والزبد يكرر أحلام العجيب

كانت أحلامك تتبعك

وأنت تتلذذين بالهمس وبالكلام

وفي منتصف العبارة تخفين

تاركةً طيفك في المرأة

تاركةً هُمومك الصّغيرة على عتبة الباب

وجهك في بدايات النهار

وثوانيك الزرقاء

في قلب الساعة الذهبي.

لا شيء تغيّر

رعشتك تنسرب في خروم الدّنليلا

خوفك ينسدل على جبني

وأنا أبتكر سيرةً لوردي عابر

قبل أن أضع يدي على مفتاح العلاقة

ورأسي خارج رواق البهجة

قبل أن أغمس عيني في لعاب الوسادة

الْفُرَّصَةُ بِنُومِكَ وَعِطْرَكَ

وَأَنْصَتَ لِطَهَالِبِ الْمُسْتَنْدَعَاتِ

وَهِيَ تَنْمُو بَيْنَ ضَلَوعَيِّ

فِي هَذِهِ الْغَرْفَةِ الْكَئِبَةِ

كَابْتِسَامَةُ الْقَتِيلِ

جِبَّاثَ الْوَقْتِ دَائِمًاً

مِنْتَصْفُ اللَّيْلِ

حرائق

كَمْ جَهَدْنَا لِنرْسَمِ الْبُسْمَاتِ عَلَى شَفَاهُنَا الْكَيْبِيَّةِ، وَحَاوَلْنَا أَنْ تُنْصَتِ
لِلْخَجَةِ الْخَافِتَةِ فِي قَعْرِ الْجَرَارِ، لِأَجْنَدِيَّةِ تَنْتَفُضُ فِي كَوَابِيسِنَا، وَكَثِيرًا
مَا جَلَسْنَا بَيْنَ الْخَرَائِبِ، فِي الْأَمَاسِيِّ الْمَنْخُورَةِ بِالْحَكَايَاتِ الطَّائِشَةِ،
عَيْوَنْسَا تَتَرَّصُدُ حُطْيَ السَّاعَاتِ، وَفِي أَفْوَاهِنَا تَنْمُوْ أَغْصَانُ اللَّيلِ
المُتَقَيِّدَةِ.

كَمْ شُدِّهَنَا وَنَحْنُ نَسْمِعُ الْمَيَاهَ تُدْمِدِمُ، وَنَرِى أَقْمَارًا مَعْتَوَهَةً تَسْقَطُ
فِي أَحْبُولَةِ الْأَلَمِ، وَالْعَانِسِ الَّتِي تَنْسَجُ الزَّرَائِيَّاتِ، وَالرُّعَاةَ إِذْ يَنْتَهَفُونَ
كَشْمَوْعٍ فِي الْبَرَدِ. كَمْ ذَرْفَنَا مِنْ دَمَوْنَا الْخَضْرَاءِ، وَنَحْنُ نَسْمِعُ تَلَكَ
الْطَّفْلَةِ الْمَشْنُوقَةِ بِجَبَالِ الْأَفْقِ تُكَرِّرُ كُلَّ لِيَلَةَ: "جَمِيلُ مِنَ النَّجُومِ أَنْ
تَكْشِفَ عَنْ أَسْنَانِهَا الْذَّهَبِيَّةِ لِعَيْوَنِ الْمَسْهَدِينِ. جَمِيلٌ مِنَ التَّلَوِّجِ أَنْ
تَفْضِيَ وَقْتَهَا فِي أَكْفَانِ صَمْتَهَا. جَمِيلٌ مِنَ الْفَلَوَاتِ أَنْ تُلْقِمَ أَثْدَاءَهَا
لِلْعَرْضِيِّ الْلَّامِرَئِيِّينَ...."

أَحْيَانًا، نَنْسِي كُلَّ هَذَا. نَجْلِبُ الدَّهَائِشَ وَنَنْتَرِهَا عَلَى الْأَرَائِكِ. بِإِبْرِ
الْخَوْءِ نَخِرُّ جِلْدَ الْغَسْقِ. نَضْعُ الْكَوْوسَ فِي الزَّوَايا. نَعَلِقُ الْكَرَاسِيِّ إِلَى

السّقف. نُوَقِّعُ خُطاناً على شطحاتٍ نهرٍ مجنون. ثُمَّ نَسْتَكِين، فِي
انتظار الحرائق الموعودة عند الفجر.

أماكن

في شارع جانبيٌّ

وجه أليف

يتکاثر في انتظاري

في ضاحية قريبة

قبيلةٌ تقيم طقوسَ ندمها

في ميدان المعركة

سقط ضحايا كثيرون

تحت حوافر الأصيل

في ذاكرتي

مدنٌ تهمي عليها

أمطار وأحزان

في غابة ما

امرأة تقبل ذئباً كسيحاً

على رصيف مقهى

قمر ينづف

في سرقة ميت

على عتبة غابة

هياكل عظمية

تضحك للنجوم

في كوخ مهجور

أنام متسللاً على صيدلي.

شُزْفة

رنين عضلات الليل المعدنية، ضجيج النّهارات المُتقىّحة، رصاصات الليل والنّهار الطائشة، الرّماد: ذاك ما تعرفه أيضًا أفواهنا. من هذه النّقطة انطلق. وها هي تتدحرج الآن نحو النّقطة المجاورة، حيث جلس رجل بـهيئة شّاذ. أطلق وابلاً من الشّتائم، قاصدًا لا أحد، زّيما. شرب نشيداً من الدّموع في أقداح مكسورة. بكى تحت شرفٍ تأوي إليها امرأة كانت حبيبتي. رقص على الجمر، وعلى نغمات النّاي. وهي من شرفتها، ترعى قافلة التّنّهّدات التي تُحْجِّ إلى مهبلها، وتمنّعني عند اليقظة كأس نبيذ وعشب الأعماق... إنّها تُكّرر: "كتيبة جراح تُدندن في ساحات قلبي..."

"على السُّفَاهِ أيضًا، تُنْتَهِي ورود الدّم في الفَجْر..."، تَهْذِي جمجمة في إحدى الحانات، فيما تُضدر المومياء أوامر للقناني الفارغة بالتسكّع في المزابل. حتى إشعار آخر، يبقى كلّ شيء هادئاً.

مُراودة

إفتدي فمك قليلاً

ولنْ تُوقِّطْ أنفاسك عيني

من سباتٍ

أمنه لطائر

ها أندًا أفتح ذراعي الآن

لأمنكِ نبض الماء الحي

ظلّك يجوب ضفافاً بعيدة

وظلّي الذي يتبعه

سقط مهشماً

على إفريز الصّباح

لَكَنْ نِيرَانِي دَائِمًا تَدْعُوك

عَلَيْكِ بِتَلْمِسِ الْجَمَرَةِ.

أَضْفِقْ نوافذ النّوم

حدثَ ذلك بِمُدْرَسِ الصُّدْفَةِ

أمام الجُمجمة المُرسومة على جَلْدِ اللَّيلِ الْأَبْرَصِ

يَنْسُجُ الموتُ فِي حَدْقِتِهِ حِكْمَتِهِ الْبَارِعَةِ

مِنْ أَلْيَافِ، مِنْ بَقَايَا صِبَاحَاتِ ذَاهِيَّةٍ،

أمام قطرةِ الْخَمْرِ الْمُتَشَبِّثَةِ بِحَافَةِ الْكَأسِ

بِيَأْسِ حَيْوانٍ فَقَدَ ذَاكِرَتِهِ فِي مَعرِكَةِ غَامِضَةٍ

بَيْنَ الْحُلْمِ وَالْيَقِظَةِ،

أمام عينيَّ اللَّتَيْنِ نَعْتُ فِيهِمَا

أَعْشَابُ الْكَوَارِثِ الْأَلِيفَةِ

وَأَجْنَحَّةُ سُودَاءِ

تَرَفَّ كَلَّمَا بَدَأَتِ الْمُصَابِحِ فِي الْهَدِيلِ

بِاسْمِيِّ حَيْنَ أَصْفِقْ نوافذَ النّومِ

وَأَهْشَى عَلَى شَفَرَةِ الْوَاقِعِ نَحْوَ اللَّهِيَّبِ

كَانَتِ الْأَقْمَارِ الْوَاجِفَةِ

تنسلل من فتوق الأساطير
ودم الأشجار يدثر ظلال المهاجرين
كانت الثلوج، في رئتي، سادرةً
في أنينها
لُفّتها أحزانها
كالعادة التي أسدلت ستائر
على مشهد أبدوا فيه بمحض الصدفة
مُغرقاً صرحي في جدول شتائم
أحفظها منذ الولادة
تميمةً أعلقها على صدر يعامة
أو امرأة في آخر الليل.
حدث هذا بمعضر امرأة آخر الليل
التي تركت شيئاً من روحها
في فمي المثقل بصرخة
تنطلق دائماً في اللحظة المناسبة

لِتُحْطِمُ الْجَدَارُ الَّذِي تَحْتَمِي خَلْفَهُ

الرَّأْيَاتِ مِنَ الظَّفَعَاتِ

وَالرُّضْعِ مِنْ نُبَاحِ السَّاعَاتِ الْمَرِيْضَةِ:

بَعْضُ الصُّدَفَةِ سَقَطَتْ دَمْوَعَ الْغَرَابِ

سَقَطَتْ الْأَغْصَانُ الْحَمْقَاءُ فِي شَرَكِ الرِّيحِ

اَرْجَفْتُ قَامَةَ الْفَجْرِ مِنْ شَدَّةِ الْخَوْفِ

لَمْ يَعْدْ بَابُ الْغَرْفَةِ يَؤْدِي إِلَى الْخَارِجِ

صَارَ لَا يَنْفَتَحُ إِلَّا عَلَى النَّعِيبِ

سَقَطَتْ طَيْوُرْ نَادِرَةٌ فِي عَبَاءَةِ الْبَحْرِ

سَقَطَتْ حُطَاطِيٌّ تَحْتَ وَطَأَةِ الْمُوسِيقِيِّ

سَقَطَتْ عَيْنَايِي فِي شَحْوَبِ

الْيَاسِعِينَ...

"كَانَ مُتَأْجِجًا، ذَلِكَ الْهَيْكَلُ الْعَظَمِيُّ،"

قَالَتِ النَّسُورُ

وَمَنْ جِرَاحِي تَطَابِرُ

فراشات زرقاء...

إذاك بدأ جنود من زيد

يطلقون النار

على قواقل الأيام.

مساءات ماطرة

مساءات ماطرة

هُطام اللَّثْرِي العَبْل

يَرْفَ عَلَى قَدِيمِي

وَرْمَادُ الْأَزْقَةِ

يَلْفُ عُرِينَا وَخُضْرَةُ الشَّوَاطِئِ

كَكُلٌّ مَسَاءٌ

نَعْرُ عَبَابُ الْوَهْمِ

نُصْغِي لِهُتَافِ الدَّمِ

وَإِذْ أَحْضَنْ حَجَلَكَ بِأَصَابِعِ عَمِيَاءِ

نَقْضِي اللَّيْلَ فِي الرَّجِيلِ

بَيْنَ الْخَطُوةِ وَالْخَطُوةِ

أَنْقَاصُ حَلْمٍ ...

٦٣

مرّة أخرى، تَبذر دمك في أرضٍ مُجده. تَطفو على صفحة حياتك ك قطرة زيت تائهة أو كائنٍ غريب لم يسبق أن رأه أحد. عواوِه غير المسموع يصبح الهواء بزرقة جنينٍ وجد مرميًّا وسط القمامات ذات صباح شتائيٍّ (يمكنكم تصوّر ذلك بسهولة). التحريات في الموضوع أنهكت العذارى الرّاكضات في الأسواق وعلى ضفاف الأنهر التي تُسافر إلى مكان مجھول (ربما هو الجحيم). الْحُوذ تترنّح بين الكروم، تستقلُّ القطارات، تستنطق الأجيال القادمة. المعهم أنّهم لم يمنحوك - أيها الكائن الغريب - أي اسمٍ حتّى الآن. لم يمنحوك ولو تلك الْزَّهرة الكليلة التي تُجهش في مستنقع، أنت الذي تبذّر دمك في أرضٍ مُجده.

أشجارٌ غرّيبة

إِنَّهُ اللَّيلُ، أَطْفَئُ آخِرَ الْمُصَابِيحِ

كَيْ تُولَدِي، وَتَبْعَثِي تَحْتَ لِسَانِكَ

الْأَخْضَرِ شَبَابَ الرِّيَاحِ

وَأَحْلَامِي الْمَدْفُونَةُ فِي الْحَدَائِقِ

عَوْسَجٌ يَتَهَذَّلُ تَحْتَ جَلْدِي، يُولَدُ مِنْ غِيَابِكَ

صَعْتِي يُحاورُ ظَلَالًاً

نَشِيجٌ أَصَابِعِي بِأَلْوَانِهِ الْفَرَّاجِيَّةِ

يَتَسَلَّقُ أَبْرَاجًاً عَالِيَّةً

جِبْرُ تَغْسِلُ بِقَايَا الْأَمْوَاجِ

عَظَامَ بَحَارِيِّ الْفَيَضَانِ الْآخِيرِ

قَلْتُ: لِأَجْعَلُ مِنْ أَنْفَاسِي رُفْقَيَّةً

ضِدَّ تَصْدُعِ أَحْلَامِكَ الطَّرَيِّيَّةِ

وَاسْمُكِ بَيْنَ شَفَقَيَّ جَدَوْلٍ مَتَوَهِّزٍ

حُلْمُهُ أَنْ يُغْرِقَ قَلْقَ الْوَعْوَلِ

في لُجَّةٍ من ضياء اللَّشيدِ...

ها هي الأشجار الغرّية

تُخْلُفُ جذورها وَتَهِيمُ في البَعْدِ

هناك، ليس للشمس ما تمنه للنَّهار

غَيْرَ نَظَرَاتٍ دَامِيَّةٍ لَيْسَ لِلَّيلِ إِلَّا

اللهاثُ الحالكُ للحقول والعرضى!

ها أنا شُعل لفافةً ثُمَّ أخرى

وأنتظر

ها أنا أُعلقْ تعيمَةً من الضنك

على قفا بُركان!

خلف نافذتي... ...

خلف نافذتي المرصعة بالبروق

تقصف أجنحة الفجر

نجيماتٍ وليدةٍ

في الحقول الفنكة

حيث تتناجى بقُعْ دمٍ وأزهارٍ

يرسم بحَار مسلوخ

أشرعةً ومجاذيف

على صفةِ جلدِه المتهَدِّل

ويحْدِق عَرَاف بعينيه الزجاجيتين

في غضون إلَيْهِ مُهْنَط

بينما يتَدَلَّى جنديٌ

باسمًا

من المشنقة

أولئك أسلافي

وما عادوا يتعرّفون علىَ

لقد قُصرْتْ قامتي حَقًّا

بسِبِّ الْصَّبَاحَاتِ الشَّاجِبَةِ

التي تضغط على كاهلي

عند اليقظة

لست متوجّسًا من هذا

فما دام قلب المرأة ينبض

ثمة أملٌ كبير

في انبعاث الشفاه من رمادها

إذَاك ستيئَ القبل

وتستمع عظام الموتى

بغاء التَّمَل ...

أتنَّت لأشجان موجةٍ يتيمة

بعد قليل أخرج للتجوال

سيكون لركبتيِّ شكلُ شعلة

أنا لا يُرعبني لُعابُ الفوانيس

ولا سعال الذَّئاب

خلف الواجهات الأنيقة

لكنْ أخِبروني

لماذا يتدَّثر المرضى

بمعزوفة الرِّيح

وأين هي سرّة الصَّراء

الحنجرة تتنظر

لحظةٌ نضوج الْقَرْخَةِ

الجريدة تتأنّهُ

على قِمَّةِ المدخنةِ

هناك مفاجآت كثيرة

في جنبات المدينة:

لقد شُرع في طلب التّادلِ

أمام المقهى

لقد تساقط ريش سنونو

على كتفيِّ الحالتينِ

أنا رأيت مُعْرِضِينْ عُرَاةً

يُجلدون داخل كهف

ومسأءَ يُوضَعُ

فِي تَابُوتٍ مِنْ غَبَارٍ

وَزوجِينْ سَعِيدِينْ حَقّاً

لَهُمَا ذُرْيَةٌ مِنْ فَلَيْنِ

وَهَا أَنْتَ يَا ذَكْرِيَاتِي

تَتَزَحَّلْقِينِ

عَلَى ثَلَوْجٍ

مِنْ حَرَيرٍ

معادلات

ساهماً، يُنصلت لوقع أقدام الحرّاس في الرّواق، حيث تغفو تمايل
أسيرة. باردةٌ ضلوعي اليوم – يقول باسماً – كعطر الأرض القابع في
محاجر الموتى. كعين الشّاعر المدحنة، ودموع الفلاكيّين القدامي. كان
مُؤرّقاً بهعوم فجر كسيح، بوحشة موطن الصّيحة والقروح. وسمعَ
تُغاء فرّاعات مزروعة في خاصرة الخريف. أشجاراً تُجفل من كوابيسها،
أنهاراً تفتح غرفها السّرية للأرامل... بدأ يكتب أرقاماً ورموزاً. عن
مرودة هاربةٍ من السّجن. عن انفعالات الجبر. ضحك المؤسسات المفتّل.
عن معاناة أجراس الليل وسمك كلمة جدار.
كان مُؤرّقاً بموطن الصّيحة والقروح.

على رصيف مقهى

لا أحد من بينهم كان في حاجةٍ إلى الألم.

أهازيج غامضة تتردد في حنایاهم، فيما تهب أنفاس متقطعة من ناحية اللال. عصافير شاردة تسقط بين الفينة والأخرى في عُبَّ المرأة ذات الوجه المطرز بالثقوب. والغيوم الوردية الثلاث، والتي هي قوارب مُترعنةٌ يُنْخاع الكواكب، يدفعها النسيم نحو شطآن آهلة بالأجنحة. الجنديُّ الوارد عبر مفاوز موحشة، يطارد في المرأة كلباً أُجْرب. أحدهم يحاول أن يقول شيئاً من دون أن يحرّك شفتيه. أحدهم يتھسّس عظاماً تتفتت في جيبه. صبيٌّ مجّنح يتوقف قليلاً عند كلٍّ منضدة خلفها رجلٌ جريح. ثم يفرد أصابعه المخملية قبل أن يختفي في الضباب الكثيف. والأعمى، النّائي عن الآخرين، يغوص في مياه وحشته، أهدابه فُسْبلة على صرخات وبروق... لا أحد من بينهم كان في حاجةٍ إلى الألم.

مرثية

كان قد نسي كل شيء: قبعته في الأذواب، ذكرياته على طوار
مهجور، وجهاها في نهاية قميضة قديمة، سترته في سرداد،
أسماءه في دفاتر الطفولة... تمدد فوق بساط من رماد، وحوله أحجار
ترن في القيظ وأنياط مبعثرة بالدم... في المستنقع القريب، كانت
الطلالب هامدة وقد أنساها الحنين. ولم يكن هو ليلمع شيئاً من كل
هذا. ولا هيكل العظمي الذي يشتعل على هضبة. ولا ألسنة
الخريف التي تهدى وتتهرأ...
خيبة الصبايات الكالحة غرقث في لجة ضده الهادر.

خِيَمَةُ الْغَبَارِ

فِنْ جَدِيدٍ، بَدَأَتِ الْقَوَابِ الْكَاسِرَةَ تَخْيِطُ بِعِسْلَاتِهَا الْذَّهَبِيَّةَ أَفْوَاهَ
الْأَنْهَارِ، بَيْنَمَا الْخَرِيفُ يَنْسَحِجُ عَلَامَاتِ اسْتِفَهَامٍ عَلَى وُجُوهِ الْعَابِرِينَ!
نَبَوَعَاتٌ وَخِيَمَةٌ أَسْتَشْهِدُهَا فِي عَيْنِي يَمَامَةٌ تُدْتَضِرُ، وَأَخْبَارٌ غَامِضَةٌ
تَبَثُّهَا إِذَاعَةُ الزَّبَدِ عَنْ مَصِيرِي الْأَكْثَرِ غَمَوْضًا. أَحْيَا نَاسًا، أَقْيَمَ مَعَ سَدَنَةِ
الْعَشَبِ فِي ظَلِّ أَسْاطِيرِ سَامِقَةٍ، بَيْنَمَا تَتَوَعَّلُ أَنْفَاسِي فِي فَجَوَةِ
الْجَبَلِ الْعُمِيقَةِ، أَوْ أَمْضَي إِلَى كَهْفٍ بَعِيدٍ، أَرَى فِيهِ الْعُلَمَاءَ الْفَقَعَدِينَ
يَفْكُونُ الْغَازَ سَيِّرَ الْحَقْوَلِ. كَنْتُ، أَيْضًا، أَجَالْسُ صَدِيقِي الَّذِي يَشْتَغلُ
بِعَنْجَمِ الْدَّمْوَعِ السَّوْدَاءِ، لِنَسْتَغْرِبَ قَلِيلًا مِنْ طُفُولَةِ النَّيَازِكِ وَبُكَاءِ الْحَجَرِ
الْبَيْتِيِّمِ. لَكِنَّ الْقَنَاصِينَ الْذَّهَاهَةَ كَمْنَوا لَهُ ذَاتَ مَسَاءٍ فِي خِيَمَةِ الْغَبَارِ.
وَمَذَّاكَ، صَرُتُ أَتَطَلَّعُ إِلَى كُلِّ هَيْكِيلٍ عَظِيمٍ يُدَنِّدُنَ فِي حَانَةٍ، وَكُلِّ
مَيْتٍ يُحَمِّمُ تَحْتَ نَافِذَتِي، إِلَى أَنْ نَسِيَّتُ مَلَامِحَهُ كُلُّيًّا. بَقِيَّتْ دَمَاءُ
السَّنَاجِبِ تَزُورَنِي. وَسَاعِي بَرِيدِ الْمَقْرَارَةِ، الَّذِي كَانَ يَحْمِلُ لِي رِسَائِلَ
عَلَى هَيْئَةِ سَلاَسِلٍ، وَبَطَاقَاتِ بَرِيدٍ تَسْعُلُ فِيهَا الْغَرِبَانِ... وَطَلَعَ حَرَّاثُو
الْأَمْوَاجِ الْخَصْبَةِ، مِنْ أَكْوَاخِهِمْ فِي عُمَقِ الْمَحِيطِ، لِيَقُومُوا بِعُسْرَةِ

احتجاج من ساحة الألم العظيم حتى مقر إقامة العَظُم المتألئ. جاء
الرُّعَاة العميان أيضاً. وحروف الجِرْ المعذبة. جاء حِرَاس قوس قزح.
وأناسٌ وغلابيُّنْ سُودٌ كَانُوهَا من شُيوخ بنى حام... ومضت الحشود على
ضِفَافِ النَّار، ضاربَةً في أرض الوحشة الْزَّرقاء... في ذلك الوقت، كانت
الأَزْقَةُ الْخَلْفِيَّةُ تَتَلَوَّى عَلَى أَعْنَاقِ الدَّئَابِ، وَالْمَطَرُ، مُشَعَّثًا، يَتَقَافَزُ عَلَى
إيقاع قَرْعِ الطَّبُولِ.

عصافير سكري

ثمة حانة أنادم فيها أشكالاً هلامية، تزقنا عيوناً لموئلها، وهي لا تزال تنبع، منسيّة في الكؤوس وعلى المناضد. زفير الشّاعات ينبع جراح حكايات غامضة، بينما تحدث قطرة خمر وحيدة عن معنى للحياة داخل حنجرة سكري. الجنود الذين حاربوا في السّراديّب وعلى أرصفة المقاهمي يصوّبون بنادقهم إلى قلب تمثالٍ يتربّح مُعربداً. والطّفلة التي تهجع منذ لحظات، تحلم بعصافير سكري تُنقذ لسانها الوردي.

على عتبة الباب، يقف شحادٌ باسمه، فيما تتسلّك روحه بين صناديق القمامات، بحثاً عن قنان فارغة. "أنت شجرة مأفوونة، أنت غيمه مخدّرة" الدواس، ذرّة رمل تبكي في أعماق المحيط...", يقول النّادل المقلّع للكهل الذي يعمل ساعي بريد بين النّجوم. لكنّ هذا الأخير كان يغطّس عموده الفقري في ذورقٍ من نبيذ بابل، ويُفكّر في عذاب البشرية الذي يتعرّى في شاشة صمته العنيف.

أعيّد تكوين المشهد، فأرى وجهي مثلاً بكلمات ذاتلة. كلماتٍ، أنفاسي ستسبّها خلفها إلى حيث ترتعش عظام البحر... لحظات

وأمضي من شارع إلى شارعٍ يطارد خيولاً غريبة، وهي تهرع نحو بَرَارٍ
مُذْتَرَّة بِغَسْقِ الْكَحْولِ. لحظات وأجلس إلى منضدةٍ من رَبَدٍ، لأنْصِتَ
إلى أقمار شاحبة وهي تَبَذِّرُ كَابِتها في كأسٍي الأخيرة...

أحلامٌ تُهدَّد أزهاراً

ككلٌّ مساء، يرى الطيور المراهقة

تتملّى صورها

في مرايا البحر، ونصالَ

الشمسِ تختَّرْ أعناق سُبُّ

في هيئة ذئاب

يرى الساعات الريبيبة

تأكُّل قمح عينيه

يُذْكُر أَنَّه كَلَّما قطع أنهار

النوم الشاسعة

في سفينة الأجداد

استيقظَ في غابة تضُجُّ

بهديل طفولته الفرّصعة بالنيازك

بزئير شجرة أكاسيا

لها رأس نمر عجوز

كانت قدماه تمضيان
على أسلاك الوجد الشائكة
يداه تتلمسان جذور الغواية
وكانت اللّار الفتية
تحنو على جبين الثلوج
حين أضاءت الطّرائد ليلاً
الغرباء بقناديل دمها
بدأت أحلامه تُهدّهـ أزهاراً
تَبْنَع سرّاً في حدقات المروج

نِمَالٌ تَهُزِّجْ...

مُبْهِمَةٌ هذه الحقائق التي ترسمها الغربان على شاشة الروح. مُبْهِمَةٌ نوايا الريح التي تنصب الفخاخ لقدمي، وهمما تضربان في أرض البلوى والجُرْح، حيث تتدحرج رؤوس العنادل على بساط أنفاسىي القديمة... أترك الظلال الوارفة لآلام نورس، وأمضي للعمل في مكاتب الرَّمل، كي تسخن عظامي... مرَّةً واحدة، سينفت فمعي أنقاض الليل ومراياه اللعوب، أنا الذي تركت وجهي رهين أهداها: هي الطَّالعة من بئر الزمن السَّاجي. العابرَة من المقهى إلى الهديل، ومن الهديل إلى غرفتي التي تجلدها شهبَة فتية. وحقيقةً توَجَّستْ من كل تلك الغضون التي ظهرت على الجدران. وكل الثقوب التي بربَّت في الشراشف والأحدية. من البثور في وجه ملوك حياني وصار رماداً. من أنين الجلنار في حديقة صحتي. من صحتي في سرير الهاوية. ومن الهاوية نفسها. ومن نفسي. ومن أنفاسها، حين تعزج الماء بالحَقَّى وتعبُّت بالأعشاب اليائسة قرب رأسي. قلت: "الأنهار منفية من مهد أحلامها". وقالت: "سرُّ دموع يحيطُ على نهدي. أنصتْ

لهذه الموسيقى التي تنبثق من عيون الباب...". يُمكنها أن تستعر حتى يتھرّأً أديم الكلمات. سأبقى متنشّتاً للّمال التي تهتز في رئتي. مُبهمٌ دبيبها في شراييني، كرفيف أجنحة الموتى.

بدأث هذه اللّوّج تصداً

أقْفٌ تحت نافذةٍ تردد خلفها شكاوى عجزة ومتسللين يتقاسمون
خُبز الملاحم القديمة. أقْفٌ تحت مطرٍ يقضم نهاد عذراء تركض في
مفارة العذاب، خلال هذا المساء الذي يرْفل في فساتين من عوسمج.
طواحيُّه تُفَتِّت عظام الملائكة. وأنا الذي استهالتْ هذا الإعصار
الجميل، لا أرى على شاشته إلا أقدام الموتى، مغروسةً في صناديق
القمامنة، تتشقّمها الذئاب... ببدأث هذه اللّوّج أيضاً تصداً أمام عينيَّ
اللتين كانتا يمامتيين سجينتين، وجَدُّهما أقزام كانوا لا يُغادرون بطونَ
أمهاتِهم إلا خلال أعياد العجوس. نيرانهم تتناءب على وسادتي كلَّ
صباح. دموعهم تُصهل في مجربيّ، فيما أصنع حماقاتٍ فُشّعة من
رماد الأيام، وأترصد أبواباً تُقرول بأقدام آدميَّة، منها سأدلف إلى
مدن العاصي، فنقسماً في جسوم كثيرة. قد يكون أحدها هذا
الشحاذ الذي يغفو في محارة بَحِجْم خرائب عُقره الطَّويل. ومثلاً
يندلع شبُّق النار في قش صيف جميل، سيأخذني الحنين إلى ساحاتٍ
مكتَّفة بالمعهالك، حيث عُميَان يُشكّلون وجوههم المنطفئة، إلى

مِرَافِئَ تَرْسُو فِيهَا سُفُنْ مُدَحَّلَةٍ بِقُلُوبِ الْأَرَامِلِ، إِلَى سَرِيرِي الَّذِي
أَمْضَيَ إِلَيْهِ عَبَرَ جَسُورَ سَبْعَةَ، تَمَدَّدَ عَلَى كُلِّ مِنْهَا امْرَأَةٌ تَفْتَحُ لِي
ذَرَاعِينَ مِنْ غَبَارٍ... وَجِينَ أَصْلَ إِلَى نَقْطَةِ انْطِلاَقِي، أَضْيَعُ فِي مَتَاهَةٍ
مِنَ الْأَضْوَاءِ، نَشِيدًا فِي فَمِ الْعَاصِفَةِ.

ضَدَرْ لِمْبَارَكْ وَسَاطْ

(حَتَّىْ غُشْتْ 2020 :)

فِي الشِّعْرِ:

- **عَلَىْ دَرَجِ الْمِيَاهِ الْعُمِيقَةِ** (دار توبقال، الدّار البيضاء، 1990)،
- **كِتَابٌ شِعْرِيٌّ** يتضمّن ثلاثة مجموعات (منشورات عكاظ، الرباط،
(2001)،

- مَحْفَوْفًا بِأَرْخِبِيلَاتْ...

- عَلَىْ دَرَجِ الْمِيَاهِ الْعُمِيقَةِ (طبعة ثانية)

- رَايَةُ الْهَوَاءِ

للم ينفع ترتيب المجموعات في الكتاب الصادر عن منشورات عكاظ للتسلسل الزمني لتشكلها: فأولى مجموعات م. وساط، زمنياً، هي على درج المياه العميقة (1990)، أمّا محفوفاً بأرخبيلات...، فقد هيئت للنشر للمرة الأولى، في نفس الوقت مع رايَةُ الْهَوَاءِ، سنة 2001. وقد أشرف المؤلف على طبع الكتاب الصادر عن عكاظ، فهو مدقق).

- فَرَاشَةُ مِنْ هِيدَرُوجِينْ (دار النّهضة العربيّة، بيروت، 2008)

- **رجلٌ يَتَسَمُ للعِصَافِير** (منشورات الجمل، بيروت-بغداد، 2011)
- **عيونٌ طالما سافرت** (منشورات بيت الشّعر في المغرب، 2017)

وفي 2010، صدرتْ لمبارك وساط مجموعة شعرية فرنسية-عربية، عن منشورات المنار بباريس، تحت عنوان:

Un éclair dans une forêt

في مجال التّرجمة :

وله، في مجال التّرجمة: **شذراتٌ من سفرٍ تكوينٍ منسيٍّ**، لعبد اللطيف اللعبي (منشورات الموجة، الرباط، 2004)، **نادجا** لأندري بريتون (منشورات الجمل، بيروت-بغداد، 2012)، **التحوّل** لفرانس كافكا (2014)، **الأبدية تبحث عن ساعة يد**، لأندري بريتون...

فهرس

رُفِيف أَجْنَحَةٍ يُضْرِم حَقْوَلًا

تَفَاصِيل الْأَدَهْشَة

حِرَائِق

أَماَكِن

شُرْفَة

مِرَاوِدَة

أَضِيقُّ نَوَافِذ النَّوْم

مساءات ماطرة

قَبْر

أشجارٌ غَرَبَّة

خَلْف نَافِذَتِي ...

معادلات

على رصيف مقهى

مرثية

خيمة الغبار

عصفير سكري

أحلام تهدهد أزهاراً

نمال تهزع ...

بدأت هذه الثلوج تصداً

طبعات

على درج المياه العميقه:

طبعة أولى: دار توبقال، 1990.

طبعة ثانية (مُنّقحة ومراجعة): منشورات عكاظ، الرباط، 2001 (ضمن

كتاب شعريّ يتضمّن ثلاث مجموعات).

طبعة ثالثة (صيغة نهائية): إلكترونية، هي هاته.